Enlightenment collection's
ISSN 2716-7852
V :11, N :02 – 20 Décembre 2021

سلسلة الأنوار
ISSN 2716-7852
المجلد 11، العدد02 – 20 ديسمبر 2021

منهج الفينومينولوجيا كمنهج تعليمي تربوي– مارتن هيدغر نموذجا

The phenomenology approach as a learning and educational approach- Martine Heidegger as a model

بسرني سليمة *

جامعة الجزائر 2، الجزائر(bissernisou@gmail.com)

تاريخ الاستلام : 2021/09/01 ؛ تاريخ القبول : 2021/11/25 ؛ تاريخ النشر : 20 /2021/12

الملخص

أعاد هيدغر طرح سؤال الكينونة بتطبيقه للمنهج الفينومينولوجي محاولا إنقاذ الكينونة من النسيان، مبرزا الفرق بين الكائن والكينونة، فالكائن هو موضوع العلم الأنطي. أما الكينونة، فهي أكثر المسائل التي تستحق التفكير. لقد إحتل المنهج الفينومينولوجي مكانة هامة جدا في الفكر المعاصر وخاصة في عملية فهم الكينونة، وذلك لأهمية النظر بنوعيه الحسي والعقلي. فبعد أن أعلى الفلاسفة من مقام النظر العقلي على حساب النظر الحسي، أراد هيدغر أن يعيد للحالات العاطفية –الخاصة بالدازين – مكانتها في فهم سؤال الكينونة. يختلف مفهوم "الحقيقة" لدى الشعراء الإغريق الأوائل عن مفهومه الذي تبنته الميتافيزيقا الغربية منذ أفلاطون إلى غاية نيتشه. فهل حقيقة الكينونة هي الظهور في علاقته مع الحضور؟ كيف يمكن تحديد وضعية الكينونة الإنسانية في علاقتها بالحضور والغياب؟ وهل يمكن إدراج المنهج الفينومينولوجي ضمن مناهج التربية والتعليم الخاصة بتنشئة الطفل؟.

الكلمات المفتاحية: الظهور، الغياب، الفينومينولوجيا، الاسطورة، الحالات العاطفية

Abstract

En The phenomenological approach has occupied a very important place in the contemporary thinking, especially in the process of understanding the Being, due to the importance of the vision with its sensory and cognitive types. After the philosophers have put the cognitive view upon the sensory one, Heidegger wanted to give back to the emotional states of Dasein their place in understanding the question of Being after the mind proved its inability to understand it. the concept of truth among the early Greek poets, which was before Socrates, differs from the concept adopted by Western metaphysics from Plato to Nietzsche, which Heidegger accused of forgetting Being. So, is being is appearance? How can we study phenomenon of human being? What is the human being?.ter your abstract here (an abstract is a brief, comprehensive summary of the contents of the article). Enter your abstract here (an abstract is a brief, comprehensive summary of the contents of the article. Enter your abstract here (an abstract is a brief, comprehensive summary of the contents of the article). Enter your abstract here (an abstract is a brief, comprehensive summary of the contents of the article).

Keywords: The human being- listening- seeing- language- myth.

* **الباحث المرسل:**

.

مقدمة:

لقد إحتل المنهج الفينومينولوجي مكانة هامة جدا في الفكر المعاصر وخاصة في عملية فهم الكينونة، وذلك لأهمية النظر بنوعيه الحسي والعقلي. فبعد أن أعلى الفلاسفة من مقام النظر العقلي على حساب النظر الحسي، أراد هيدغر أن يعيد للحالات العاطفية الخاصة بالدازين، مكانتها في فهم سؤال الكينونة بعد أن أثبت العقل عجزه في فهمها لأن الحقيقة العقلية تعتمد على المطابقة. إلا أن مفهوم الحقيقة لدى الشعراء الإغريق الأوائل –أي قبل سقراط– يختلف عن مفهومه الذي تبنته الميتافيزيقا الغربية منذ أفلاطون إلى غاية نيتشه. والتي إتهمها هيدغر بنسيان الكينونة فهل الكينونة هي الظهور؟ إن كانت ظهورا، يجب علينا الإنتباه إلى أن الظهور محكوم بالحضور وبالصيرورة أيضا. وهذا يعني أن الظهور غير مستقر لأن الحضور آني، أي أنه محكوم بالزمان فهل يمكن القبض على الزمان؟ اللحظة الآنية هي لحظة حاضرة ولكنها لا تلبث أن تختفي لتصبح ماضيا وهي تترقب في الوقت نفسه ما هو قادم إلى الحضور أي اللحظة المستقبلية القادمة.

يدخل الزمان بأبعاده الثلاثة، في علاقة حميمة مع الإنسان الذي يعد بدوره زمانية متناهية، حيث يقول هيدغر: " قد شاخ الإنسان بما يكفي في نفس اللحظة التي ولد فيها" (Heidegger, , 1986) بمعنى قد يكون الموت هو الإمكانية الوحيدة التي يعرفها الإنسان في حياته وهي نفسها لحظة ميلاده. ما الزمان؟ كيف يمكننا أن نعالج سؤال الزمان فينومينولوجيا؟ فالزمان هو في علاقة حميمة مع الكينونة الإنسانية، إذ لا يمكن تحديدها وفهمها في معزل عنه (Heidegger، Question III et IV، صفحة 189).

المنهجية الفينومينولوجية والتحليلية:

1 – الاعتماد على النظر الفيزيائي في كشف الكينونة كظهور وذلك بالدخول في علاقة مباشرة مع الأشياء وفتح ورشات للعمل والتطبيق، فالفنان الذي ينتج عملا فنيا لا يعرف حقيقة هذا العمل إلا

إذا دخل في تجربة خاصة معه. كما أن العمل الفني يلغي أداتية الأداة أي أنه لا ينظر إلى الغاية أو المنفعة في مجال الاستعمال وإنما ينظر إلى الأشياء كأشياء في ذاتها.

2- أهمية النظر الميتافيزيقي وأيضا أهمية السؤال لكشف الكينونة المنسحبة.

3- دور العمل الفني في فهم معنى الكينونة من خلال استعراض بعض الأعمال الفنية المختلفة من موسيقى وشعر ورسم ونحت... وغيرهم.

المناقشة:

توجه الكينونة والزمان واحد

أعاد هيدغر طرح سؤال الكينونة المنسي وذلك بتقويض الميتافيزيقا التقليدية والبدء من جديد محاولا إنقاذ الكينونة من النسيان الذي دام طويلا، حيث إنحرفت الميتافيزيقا عن مسارها، فاهتمت بالبحث في الكائن، وهو موضوع العلم بدل إهتمامها بمسألة الكينونة، فالكينونة هي أكثر المسائل التي تستحق التفكير.

إن الظهور والصيرورة، والتفكير والواجب (ما يجب أن تكون عليه الكينونة) (هيدغر، صفحة 87)، هي العناصر الأربعة التي ربطتنا بالكينونة Sein، ولكن ينبغي أن نميز -يقول هيدغر- بين الكينونة ككينونة وبين هذه الأركان الأربعة. إن الظهور المحكوم منذ أكثر من ألفي سنة بالحضور ousia، يتميز عن الكينونة ككينونة، فقد يكون الظهور وَهْمًا وخداعا وقد يكون إنسحابا وتخفيا (Heidegger، Parménide، صفحة 43) ، رغم ارتباطه الحميم بالكينونة المسئولة عن فعل الإنكشاف والتجلي. فالظهور هو جلب الأشياء إلى منطقة الإنارة أو الضوء ولهذا فإن الظهور يقف بالضد من الكينونة.

الصيرورة يقول هيدغر بأنها تقف بالتضاد مع الظهور. إلا أنهما لا يتحددان فقط من خلال مصطلح ousia، لأن الحضور يتحدد في طبيعة علاقته باللوغوس. أي أن الصيرورة والظهور يتحددان في سياق التفكير يرى هيدغر أن ما يحدد كينونة الإنسان هي اللوغوس logos وتعني هذه الكلمة الإغريقية الجمع والفهم والإدراك، (فهم كينونة الكائنات). فرغم نسيان الإنسان لسؤال الكينونة، وهو أهم الأسئلة جميعا لإنخراطه في نمط الوجود اليومي، إلا أنه يعثر على نفسه في

حضرة الكلمة التي تحمل صفة الكشف والإظهار والإنارة (هيرقليطس و أفلاطون)، كما يصف أرسطو مهمة الإظهار ب apophainestai، فكلمة legein يقول هيدغر تعني أن تنتج وتقدم التكشف والتجلي بحد ذاته (Heidegger، humanisme'Lettre sur l، 1949، صفحة 164). وهذا يبين علاقة الكلمة بالحقيقة كأليثيا alétheia. وتعني هذه الكلمة الإغريقية الخروج من الحجب. فاللغة هي لوغوس، وهي ما يحدد ماهية الإنسان فإذا كنا نعتقد سابقا أن الإنسان هو من أنتج اللغة، فإن اللغة بالنسبة لمفكر الغابة السوداء، هي التي تتكلم من خلاله، هذا ما اكتشفه هيدغر بعد أن كان أصل اللغة سرا وأحجية. فاللغة التواصلية الإخبارية المستعملة في نمط الوجود اليومي لا تتعدى الثرثرة وهي لغة تختلف عن اللغة الأصيلة. يقول هيدغر: "اللغة هي وجود منظم في كلمة واحدة... الشعر". (Heidegger، , l'l d'origine de art'œuvre، 2015، صفحة 166) وكان الإغريق هم أول من أبدعوا في اللغة الشعرية من خلال أشعار الأوائل أمثال هوميروس، هيزيود، برمنيدس وهيرقليطس، حيث تفتحت اللغة من خلال كينونة هؤلاء الشعراء في العالم.

إن الأركان الأربعة التي ربطت الإنسان بالكينونة وسيطرت عليه منذ آلاف السنين في كشفها وغلقها وتشويهها ونسيانها، هل هي عدم؟ وإن لم تكن عدما، فهي موجودة، ولكن بأي معنى؟

يقول مارتن هيدغر Martin Heidegger " أن تعرف كيف تطرح السؤال يعني أن تعرف كيف تنتظر، حتى لو كلفك الأمر أن تنتظر الحياة كلها". ولكن في عصر السرعة، لم يعد للتساؤل منفعة، ولكن الأمر الأساسي ليس في المنافع، بل في الإمساك باللحظة المناسبة لطرح السؤال. في إعادة طرح سؤال الكينونة من طرف المتساءل وهو الدازين أي الكينونة–هنا –والذي يجد نفسه طرفا في السؤال_كيف يمكن أن يقف الدازين باعتباره كينونة–في–العالم مع الكينونة ككينونة في علاقتها الحميمة مع الزمان؟

المشكلة: كيف يمكن أن نفكر في سؤال الكينونة؟ وما هي الطريقة واللغة المناسبة التي يمكننا أن نعالج من خلالهما سؤال الكينونة؟

الفينومينولوجيا كمنهج لتطوير مهارات الطفل:

للفكر المعاصر أبعاد كثيرة من بينها البعد الفني واللغوي والأخلاقي وتعتبر الفينومينولوجيا من أهم المناهج الفكرية المعاصرة يدعونا هذا المنهج إلى التوجه المباشر إلى الأشياء ذاتها، فعندما ندخل في علاقة مباشرة مع الشيء ذاته، فإننا نمارس المهمة التحققية التي تضمن لنا معرفة حقيقية. يقول هولدرلين: " أن ترى مرة خير من أن تقول مئة مرة"، فالتعلم عن طريق الرؤية (الصورة) أفضل وأبلغ من التعليم عن طريق القول ولكن دون أن ننقص من أهمية وقيمة القول ولنكون عمليين أكثر سننظر في كيفية الإستفادة من المنهج الفينومينولوجي في عملية التعلم؟ ولهذا قسّمنا البحث إلى ثلاث ممرّات أساسية وذلك وفقا لأهداف المنهج الفينومينولوجي:

أهمية النظر في المنهج الفينومينولوجي:

ينقسم النظر إلى نظر عقلي ونظر حسي والاثنان بحاجة إلى الانفتاح والرغبة والحب، فالطاقة التي تمنحها كل من الرغبة والحب والانفتاح في عملية التعلم، تشكل بالنسبة للطفل عاملا أساسيا، حيث تخلق مجالا أوسع للتفكير وللتخيل. ولا يخفى أن المخيلة هي أهم بكثير من الذكاء العقلي لأنها خلاقة. وحتى نجعل من الطفل مبدعا علينا أن نصنع منه ملاحظا جيدا، فنعلمه كيفية النظر، حيث يتطلب النظر الحسي أو النظر الفيزيائي التوجه المباشر إلى الشيء الموضوع أمامنا ولهذا على الطفل أن ينتقل إلى مواقع حقيقية وعليه أن يدخل في علاقة مباشرة مع الأشياء للتعلم. فالصورة في عملية التعلم أبلغ من الفكرة المجردة، حيث تترسخ الصورة في الذهن.

من لا يتقن حرفة الخزف مثلا، لا يمكنه الحديث عنها دون أن يدخل في علاقة مباشرة مع المواد والأدوات المستعملة في هذه الحرفة ولكي تنبثق ميولات الطفل ورغباته في سنواته الأولى فيعرف وجهته مبكرا، علينا أن نهتم بإخراج ميولاته إلى النور عن طريق الإحتكاك المباشر مع الأشياء. فهذه الميولات هي في الأصل موجودة ولكنها بحاجة إلى من يخرجها. كما أقترح أن يستعيد الطفل علاقته المفقودة مع الطبيعة ومع الأرض، فهي الأم التي تحفظ أصل العلاقات بين الناس وتجمعهم. كذلك أرى أنه من الضروري أن يتعرف الطفل على تراثه ومختلف المواقع الأثرية والتاريخية لترسيخ فكرة الثقافة الوطنية والمحافظة عليها. يعيش الإنسان في مجموع علاقاته تجربة ذاتية خالصة

وخاصة مع الذات ومع الآخر ومع الأشياء المحيطة به. فيكتسب بخبرته مهارات ذاتية، فالتعلم صناعة ولكل صناعة أدواتها وقواعدها. يقول سقراط: "إعرف نفسك بنفسك"، فالمعرفة هي معرفة ذاتية وهي تجربة متعلقة بالفرد. ولكنها معرفة ذات أبعاد كثيرة ومختلفة.

الإنتقال من النظر الحسي إلى النظر العقلي:

قبل أن يتعلم الطفل كيفية التفكير والنظر إلى الأشياء البعيدة عن النظر الحسي، أي أنها ليست أشياء واقعة تحت النظر فهي خارج مجال الرؤية الفيزيائية، ولذلك على الإنسان أن يتقن أولا النظر الحسي، فتنمية المهارات الحسية هي أول خطوة في العملية التعليمية. وهي تجربة فردية ينبغي أن نتقن قواعدها.

أهمية اللغة في عملية التفكير:

اللغة ليست مجموعة من الرموز تحمل معنى ينبثق الفكر في اللغة، فاللغة والفكر شيء واحد. الفكر هو الطريق الذي نسلكه والتاريخ الذي نكتبه. ولهذا فإن شعبا بدون لغة، هو شعب بلا فكر وبلا تاريخ. الفكر هو لغتك التي تسمعها وتنطقها وتكتبها وتجسدها، ولهذا حتى يسلك الطفل المسلك الصحيح، ويحافظ على تاريخه وتراثه، عليه أن يكون متكلما جيدا، فاللغة تتميز بالإبانة والإظهار، فتَظهر الأشياء بوضوح عند تسميتها أو حين نضعها في قوالب لغوية. وحتى يكون الطفل متكلما جيدا عليه أن يكون منصتا جيدا، فلا نتكلم حتى نسمع أولا. اللغة منذ أن إكتسبها الطفل من أمه إلى غاية قبوله لها في نظام المجتمع الذي ينتمي إليه، هي لغة محددة وجاهزة في قوالب مسبقا. ولكن للغة قوة ساحرة وأثر بالغ على الفرد. وهذا ما يثبته هيدغر في قوله " اللغة تفكر"، بحيث لا وجود لفكر في غياب اللغة. الفكر هو من يرسم توجهاتنا المستقبلية، للكلمة، قوة الخلق. قد نخلق عالما وقد نحطمه بكلمة. ولهذا علينا أن نختار بعناية كبيرة ما نقول، وأن نعلم الطفل أهمية إتقان اللغة في عملية التفكير. وكذلك أهمية الإنفتاح على مختلف اللغات، لأن الفكر هو إرث للإنسانية جمعاء، وحتى نستفيد من توجهات الفكر المختلفة علينا أن ننفتح على لغات العالم دون إستثناء، وأن نغرس في الطفل الرغبة في التعلم والإطلاع على ما أنتجه الغير من علوم وأفكار

أهمية العمل الفني:

كل عمل يجتمع فيه الجمال والحسن والصالح هو شعر، فأبسط الأمور التي نقوم بها في أيامنا العادية، إذا كان فيها حب خالص، ستعطينا في النهاية تحفة فنية، فالحب هو أكبر تعبير على وجود تناغم وانسجام داخلي.

تَبْرز أهمية العمل الفني أواللغة الشعرية في تنمية الذوق والوجدان لدى الطفل، فإذا أخذنا بيد الطفل منذ سنواته الأولى، وعملنا على تطوير الجانب الوجداني شيئا فشيئا، فإننا سنضمن تحقيق توازن عقلي ووجداني يتصالح فيه العقل مع الحالات العاطفية. الفن، هو الحب في أعلى وأرقى تجلياته. الحب هو العطاء والإنفتاح. وإذا تساءلنا لماذا الفن؟ فسنقول لأن الفن هو تجلي للحقيقة. والحقيقة هي التناغم والانسجام الذي إختبره الإنسان الإغريقي في فجر الفكر الأول، حيث كان يتغنى به في أشعاره، وما الانسجام إلا تصالح مع الذات باعتبارها كينونة–في–العالم. ومع الأشياء كأشياء ومع الآخر ومع الطبيعة بمعنى التجلي والإنبثاق، فالإنسان هو مجموعة علاقات ولهذه العلاقات أبعاد كثيرة.

إن الهدف من الوصول إلى إنسان يتميز بذوق عال، هو رفض لكل أنواع وأشكال الرداءة. كيف نحقق الإنسان المتميز؟ وكيف نحفظ كرامة هذا الإنسان؟ كيف نخلق منه كائنا يحترم التعدد والإختلاف ويقبل الآخر، إن لم نكن حريصين على عملية التربية والتعليم؟ ولا ننسى في الأخير أن الإنسان المتوازن هو الإنسان الذي يحفظ الطبيعة ولا يتجاوز حدوده ليضع نفسه موضع السيد عليها. فالإنسان هو من يخدم الطبيعة ويحرسها وليس العكس فإن حفظها حفظت له حاجته. ولهذا علينا نحن الفاعلين في مجال الفلسفة أن نشرع في الكتابة الفلسفية للطفل. وأن نبدأ بتوجيهه نحو رعاية الكينونة والحفاظ عليها.

الأسطورة هي البداية وهي خطوات العقل الأولى ولكنها هي الأصل

يملك الطفل طاقة كبيرة، وعلينا استغلالها ووضعها في مسارها الصحيح وتوجيهها توجيها صائبا يخدم المجتمع. ولا يمكن تحقيق ذلك إلا بالتصالح مع النفس، بعد معرفتها. هذه المعرفة تتطب إجابة صريحة وواضحة على سؤال ما الإنسان؟ فهو أكثر المواضيع التي شغلت المفكرين والفلاسفة.

إن استقراء التاريخ يثبت لنا تطور الإنسان عبر العصور، حيث اعتمد طريقة النقش والرسم على جدران الكهوف وعلى أسطح الصخور منذ ما يقارب 140000 سنة ما قبل التاريخ، كما أن الدارسين والباحثين في، جال علم ما قبل التاريخ، يبرزون الاختلاف الموجود والواضح في نوعية هذه الرسوم، فكانت هذه النقوش والرسوم ذات جودة عالية. ولكنها تراجعت في الفترة التي أطلقوا عليها بعصر الانحطاط décadence. وهي الفترة التي كانت تعاني الجفاف. مما يبرز أهمية الماء في حياة البشر، استمر هذا النوع من التعبير لقرون طويلة. ونضرب مثالا حيا على ذلك في صحراء الجزائر، وبالضبط في جبال التاسيلي، وتسمى بنقوش واد جرات (Lhote، 1976). ويعود تاريخ هذه النقوش والرسوم إلى 000 70 ألف سنة قبل الميلاد، إلى أن تغير أسلوب التعبير من الرسم والنقش إلى الأدب الشفهي (الشعر الملحمي) الذي اشتهر به الإغريق في القرن الثامن قبل الميلاد، ونلتمسه في أشعار هيميروس وهيزيود وغيرهما. وهكذا طغى فن التعبير الشفهي والكلمة الحية في هذه المرحلة. وكان الجميع يحفظ هذه الأشعار التي كانت تحمل دورا تعليميا وتربويا. وهذا ما نسميه اليوم باللاهوت حيث طغت صور الآلهة في هذه الأشعار، فيسافر الإنسان بمخيلته بعيدا وهي تمثل في الحقيقة رحلة بحثه عن الله. إلى أن ظهرت الكتابة وأصبحت تُدَوّن الأفكار لتَتَدَاولها الشعوب باختلاف لغاتها. ولكن صعوبة الترجمة كانت ومازالت تشكل عائقا كبيرا إلى يومنا هذا. فلا يجب أن نترجم الكلمات ونعطيها تأويلات قد تبعدنا عن المعنى الأصلي فتشوهه. اللغة هي نمط عيش وفكر وثقافة. ولهذا فإن لكل لغة خصائصها.

الحقيقة واحدة إلا أن الحكماء يقولونها بطرق مختلفة. هذا ما يقوله جوزيف كامبل Joseph Campbll في كتابه قوة الأسطورة. كما يقول أيضا "صور الإله متعددة " وأطلق عليها " الأقنعة الأبدية". (كامبل، د ت، صفحة 14) وهذا ما يؤكده فراس السواح في كتابه مغامرة العقل الأولى حيث يقول: " ولكن وراء الأقنعة كلها، في كل عصر وفي كل عرق يبقى الله هو ذاته الله الدائم الذي لا يتغير. نحن نتحسسه ونشعر به وراء هذه الأقنعة وننحني له احتراما".

فالمقدس هو الصدى الذي تشترك فيه كل الأساطير. ويبدو أن المقدس هو ذلك الزوج الذي لم يكن من السهل تطليقه لنحظى بغيره، إنه حاضرنا الذي لا يغيب.

ما هي الأسطورة ؟ لماذا الأسطورة بالذات؟ وما دورها في التربية والتعليم؟

قبل أن نقوم بتعريف الأسطورة، أود أن أنبه القارئ إلى ضرورة التمييز بين الأسطورة والخرافة، فالخرافة هي حكاية بطولية مليئة بالمبالغات والخوارق وأبطالها من البشر أو الجن ولا علاقة لها بالآلهة. ونجد أيضا الحكاية الشعبية وهي مثل الخرافة لا تحمل بعد القداسة. كما أنها تقف عند حدود الحياة اليومية، ولا تهتم بالمواضيع المصيرية للإنسان.

الأسطورة

نسيج الأسطورة هونسيج متميز، حيث ترتبط الأسطورة بالمقدس وبالتصورات الدينية. يقول جوزيف كامبل في تعريفه للأسطورة "هي تجلّي الإله بأشكال مختلفة في ثقافات مختلفة". الأسطورة هي صور مجازية عن الإله، عن هذا المتخفي المخبأ خلف العالم المرئي والمحسوس. الأسطورة هي حكاية مقدسة تقليدية تنتقل من جيل إلى جيل آخر ومازالت إلى يومنا هذا، فهي الذاكرة الجمعية والتاريخية التي تُحفظ في أبيات شعرية وكان السمع هو الوسيلة في تداولها وحفظها. وقد كانت من أجمل الفنون. إلى جانب الفن الشعري خلقت الأسطورة فنا آخر وهو المسرح، حيث كانت تجسد هذه الأساطير في الأعياد الدينية على خشبة المسرح.

تتمتع الأسطورة بقوة ساحرة لأنها تصور لنا ما نعتقده مستحيلا وتقدمه لنا في صور حقيقية نحن الذين وضعنا العقل في قالب نموذجي افتراضي واحد واعتبرناه حقيقة مطلقة. فالعقل الحسابي هو العقل الذي يضمن البقاء أما العقل الوجداني فهو الذي يخلق التوازن الروحي والعقلي.

عالم الأسطورة هو عالم تغزوه الآلهة والإنسان شبيه بالآلهة وبهذا فهو مشروع في صناعة الوجود باللغة، باعتباره الوعاء الذي وضع فيه سحر الكلمات، فالعالم مصنوع من سر ومن نور ومن لغة. ولأن الكلمات تتمتع بسلطة الخلق فإنها تلعب دورا هاما وكبيرا في الانفتاح على العالم وقبوله والدخول في آفاقه اللامحدودة للتعرف عليه من مختلف زواياه. فلا وجود لحقيقة واحدة. بل نحن محكومون بقانون التطور والتغير وعدم الثبات ومع ذلك نحن نشعر بوجود حقيقة واحدة تجعل العالم يظهر لنا في صورة ثابتة.

بالعقل الحسابي نحن ننظر إلى الحضور الماثل أمامنا فأما الغياب فهو من ينظر إلينا ويتوجه نحونا. العقل الحسابي غير قادر على الإمساك بالغياب.

فالعودة إلى الأصل أي إلى الأسطورة هي عودة ضرورية غير اختيارية لأن الحلول لأزمات الإنسان اليوم لم تعد أبدا عملية عقلية أو حسابية.

يقال بأننا نمر بأصعب تجاربنا في بداياتنا الأولى ولكن يكفي أن نخطو خطوة واحدة لنثبت بعدها. وما كنا لنثبت لولا إصرارنا الشديد ومحاولاتنا المتكررة على تجاوز الفشل دون كلل أو ملل وإيماننا بقدرتنا على المضي قدما. هذه الخطوة المتواضعة والخجولة هي في الحقيقة تحمل الكثير من المعاني لأنها تعلّم الإنسان الثبات فالإنسان لعبة خطيرة يملكها الزمن ويراهن بها على بقاء العالم واستمراريته ولكن على الإنسان أن يتقن أولا قواعد اللعبة وإلا هلكنا جميعا وحتى يتقن قواعدها عليه أن يحافظ على ذلك الطفل الموجود في داخله ذلك الطفل الشغوف بجمال الطبيعة واحترامها وتناغم ألوانها وانسجام قوانينها فابق صغيرا أيها الإنسان مهما كبرت فإنه لا يكبر العبد على سيده.

عرف التاريخ الإنساني الكثير من الأساطير ونعطي على سبيل المثال أسطورة تموز التي كانت تتلى في احتفالات رأس السنة في بابل. وأسطورة جلجماش وأساطير المصريين واليونان القدامى والهند والصين وغيرهم من الأساطير. وكانت في مجملها تفاسير لقلق الإنسان الوجودي. هذا الإنسان الداخلي المهموم والمربوط بعوالم خارجية كثيرة. فلم يتردد لحظة في استعمال خياله الواسع وواقعه لفك أسرار هذه العلاقات. فلماذا لا نستعيد هذا الإرث الفكري الذي تحدى الزمن والموت

وانتقل من جيل إلى جيل آخر متغاضيا الحدود الجغرافية والاختلافات العرقية واللغوية، حيث ترجمت أعمال هؤلاء العظماء لما تحمله من ألغاز وحكم إلى مختلف لغات العالم.

ولماذا لا نكتب قصصا وأساطير تكون نابعة من عمق مجتمعاتنا وتراثنا؟ ولماذا لا نورث هذا الفن لصغارنا نحن الذين يعاني الكثير من الكبار فينا إن لم نقل جلهم أزمة الحقيقة المطلقة الواحدة، وفا يستوعبون الاختلاف. ولا يقبلون الآخر ويرفضون التعايش، أليست الأسطورة هي النور الذي يبعث فينا الأمل من جديد؟ فالأمل في غد أفضل هو أمل تحمله أنامل أبنائنا، فهم صناع الحياة وصناع المستقبل. فالحكمة هي وسيلتنا وغايتنا وإذا عدنا إلى أصل كلمة حكمة فإننا نجد فيها كلمة "حكم"، فمن اكتسب الحكمة، حكم نفسه. يرى القديس أوغسطين أن ما يبحث عنه الإيمان يجده العقل. وهذا ما تعبرعنه أيضا قصة حي بن يقضان، فهو ذلك الحي اليقظ الذي تَوَصّل إلى سر الكينونة الأصلية دون الحاجة إلى وحي أو نصوص دينية منزلة. وأيضا مالبرانش الذي يقول " الله موجود في العقل". فهل نتجنب وضع هذا الإرث العظيم بين أيدي أطفالنا فقط لأنه يتعارض مع فكرة الحقيقة الواحدة؟

إن خطأنا الأكبر هو أن نترك أبناءنا يواجهون مصيرهم دون أن يأخذ بيدهم أحد، فلا يستفيقون أبدا، كما أن الكتابة الفلسفية تتميز بأسلوبها اللغوي المُنَفِّر، فلا يقرأها إلا من كان يتقنها. وإذا كنا نريد تقريب الحكمة لعقول الناس مهما اختلفت مستوياتهم الفكرية، علينا أن نحتفي إلى أسلوب بسيط يفهمه الجميع.

نظرا لما تحمله الأسطورة من مغزى وحكمة وقيمة، أتمنى أن تُدرج هذه القصص والأساطير كنوع خاص من أنواع الفنون في مناهج التربية والتعليم في الجزائر، لأن للأسطورة تأثيرا سيكولوجيا على الفرد وإضافة إلى دورها الديداكتيكي فهي أيضا لها دور علاجي لأنها تخلق توازنا بين القوى الروحية والعقلية، فالأسطورة هي المفتاح الذي يوصلنا إلى أعماق قوانا الروحية. وهي قادرة أيضا على أن توصلنا في الوقت نفسه إلى الغبطة والاستنارة، فهي فيض من الحب والحكمة فإن أضعناها أصبحت حياة الإنسان بلا معنى. لأنه في رحلة بحثه عن الله هو يبحث عن تجربة حقيقية لحياته، أين يحقق الانسجام مع الذات ومع الآخر ومع الطبيعة.

خاتمة: يتميز الطفل بكثرة الأسئلة، ولكنه عندما يلتحق بصفوف الدراسة يبدأ في فقد هذه القدرة على التساؤل، لأنه يندمج مع طريقة التلقين التي يقدمها المعلم. وبدل أن يُعْمَل عقله، يصبح وعاء تُجْمَع فيه المعلومات. وحتى نحرر هذا الطفل من أسلوب التلقين التقليدي، علينا ان نعلمه التفكير الحر. يقول كانط "تشجع واستعمل عقلك" .وحتى يعمل العقل بطريقة جيدة، علينا أن نزيح عنه القيود والوصاية، فعقل يعمل بطريقة جيدة هو عقل يسأل ويحلل وينقد ولا يقبل الأجوبة الجاهزة.

إن هدفي من مشروع الكتابة الفلسفية للأطفال في مجال الأسطورة، هو استعادة الأخلاق الأصيلة الضائعة وبناء إنسان مسئول. وقبل كل شيء أريد بناء إنسان يحكم نفسه وفكره باعتماده على قانون الأضداد، لأنه فقط في هذه الوحدة يمكن أن نحافظ على الوحدة الكلية رغم التعدد والإختلاف. كما يمكننا أن نوجه الطفل نحو التصالح مع الذات ومع الآخر ومع الطبيعة، فالضد هو جزء مكون ومربوط بضده، وهذا هو القانون المحرك للعالم، فلا معنى للبرد دون الشعور بالدفء ولا يمكن معرفة الصحة إذا لم نعرف ما المرض. ونذكر مقولة غوتة "قمة الحركة هي السكون"، فلا يسكن إلا المتحرك ولا يصمت إلا المتكلم. ولهذا فإن مهمتنا الأولى والأساسية هي تنشئة الطفل وتكوينه وهذا يتطلب منا أن نبدأ بالكتابة الفلسفية للأطفال. فقد تفتح الأسطورة نافذة مختلفة عن نموذج الفكر النمطي الذي تعودنا عليه، وتفتح ايضا للطفل أفقا وعالما مختلفا يُفسح له مجالا أوسع من المجال المعتاد.

المصادر والمراجع:

1. Heidegger, M. (2015). , *l'origine de l'œuvre d'art.*
2. Heidegger, M. (s.d.). *Parménide.*
3. Heidegger, M. (s.d.). *Question III et IV.*
4. Heidegger, M. (, 1986). *Être et Temps.*
5. Heidegger, M. (1949). *Lettre sur l'humanisme.*
6. Lhote, H. (1976). *Les gravures rupestres de Ouad Djerat.* Alger.
7. هيدغر ,م .(s.d.) .*مدخل إلى الميتافيزيقا*.
8. وزيف كامبل. (د ت). *قوة الأسطورة*. (ترجمة حسن وميساء صقر، المترجمون)